مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (٦)
الإصدار السادس والثلاثون
٢٠٢٦ (١-١٨)

الكلاسيكيات الخمسة في الكونفوشيوسية وأهميتها في الثقافة الصينية

علاء الدين إسماعيل، يوسف بن المهدي،
عمر عثمان الخطيب، عبد العزيز بن عبد الله آل ثاني
قسم العقيدة والدعوة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ يونيو ٢٠٢٦م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

الديانة الكونفوشيوسية هي إحدى أكبر الديانات في العالم القديم فقد كانت الديانة الرسمية للإمبراطورية الصينية على مدى مئات السنين فكانت كلمة كونفوشيوسية لا تنفك عن التاريخ الصيني، بحيث كانت تشكل المعين الأخلاقي والاجتماعي لدى الأمة الصينية إلى ما قبل ثورة (ماو) الشيوعية، وكان اتباع كونفوشيوس يؤمنون بعدد من الكتب التي يعدونها مقدسة واجبة الاتباع، ، ويأتي في طليعة الكتب المقدسة ما يسمى ب(الكلاسيكيات الخمسة)، ولأهمية هذه الكتب كان يمتحن بها من أراد الدخول في الوظيفة في الصين، وكانت تمثل الدستور الأخلاقي وتنظم العقد الاجتماعي للمجتمع الصيني، ويأتي البحث هنا لتقدم دراسة وصفية تاريخية حول أصل الكلاسيكيات الخمسة وأهميتها لدى الصينين وتاريخ تطورها إلى أن وصلت إلى الشكل الذي هي عليه الآن.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، كونفوشيوس، دين، الصين، مقدس.

*** المقدمة**

بدأت الصين في العقدين الأخيرين تنادي بالعودة إلى الكونفوشيوسية التي تأثرت مكانتها إثر غزو الأيدولوجيات الإلحادية، ومن المتوقع أن تعود الكونفوشيوسية إلى واجهة الثقافة في الصين، وقد يصح القول إن الكونفوشيوسية ليست ديانة بالمعنى التقليدي، ولكنها نظام فلسفي وأخلاقي فهي ليست قائمة على الإلهية حيث لا يوجد فيها مفهوم واضح لإله خالق كما في الديانات التوحيدية. ومع ذلك، تطورت الكونفوشيوسية عبر العصور واكتسبت بعض العناصر الدينية، مثل عبادة الأجداد حيث يُعتقد أن أرواح الأسلاف لها تأثير على الأحياء، ويجب تكريمها عبر الطقوس. وكذلك الإيمان بمفهوم "تيان" (天): الذي يُترجم أحيانًا إلى "السماء"، ويُنظر إليه كقوة كونية

أو مبدأ إلهي كما أنه توجد معابد مخصصة لعبادة كونفوشيوس، حيث يُكرّم الناس الفيلسوف باعتباره نموذجًا للحكمة، فالكونفوشيوسية ليست دينًا صارمًا ولكنها فلسفة أخلاقية تحتوي على جوانب روحية مما يجعلها مزيجًا من الفلسفة والدين. ولمعرفة أهمية الكونفوشيوسية لابد لنا من التعرف على الكلاسيكيات الخمسة والتي تعد أهم حزمة مؤلفات صينية عبر العصور، بحيث كانت هذه الكلاسيكيات منبعاً للثقافة لدى الصينيين لمدة قرون.

وتكمن مشكلة البحث في أمور عديدة منها: الصلة بين الثقافة الصينية والكلاسيكيات الخمسة، وتاريخ تأليف الكلاسيكيات الخمسة ومن هو مؤلف تلك الكتب.

كما يهدف البحث إلى الوصول إلى إبراز دور الكلاسيكيات الخمسة في الديانة الكونفوشيوسية، والوصول إلى حقيقة دور الكتب الخمسة في تشكيل الثقافة الصينية، ومحاولة معرفة كاتب تلك المؤلفات وتاريخ تأليفها.

وتأتي أهمية البحث في أن الكلاسيكيات الخمسة تعد أهم الكتب الكونفوشيوسية، واعتمد عليها أباطرة الصين لقرون عدة، بل وكان الفحص للدخول في الوظائف الحكومية يعتمد على معرفة المتقدم بتلك الكتب.

وفيما يتعلق بحدود البحث فإن الدراسة هنا ستركز على الكلاسيكيات الخمسة دون غيرها من الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية.

وقد استخدم الباحثون عدداً من المناهج العلمية في هذه الدراسة منها: المنهج الوصفي التاريخي حيث أرخنا لنشأة هذه الكتب.

كما اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي: بحيث قمنا بتحليل المادة التاريخية التي وصلتنا ودراستها علمياً.

أما عن الدراسات السابقة فلم نجد دراسة باللغة العربية اختصت بالبحث عن الكلاسيكيات الخمسة، لكن يوجد بعض الدراسات التي تحدثت عن الكونفوشيوسية ومن ضمن ذلك تكلمت عن الكتب الكونفوشيوسية من هذه الدراسات

رسالة ناصر بن فلاح الشهراني (الكونفوشيوسية، ماضيها، حاضرها، موقف الإسلام منها، ٢٠١١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٥٥٩ صفحة). حيث عقد فصلاً عن الكتب الكونفوشيوسية، لكن حديثه أتى مقتضباً.

ومن تلك الدراسات رسالة عزيزة بنت علي الأشول العمري، (الكونفوشيوسية: عرض ونقد، ٢٠١٧، جامعة قناة السويس– كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مصر،) حيث تحدثت باختصار عن الكتب التسعة، وقسمت الكتب على أن الكلاسيكيات الخمسة التي اعتبرتها مصادر قديمة، ثم الكتب الأربعة التي عدتها مصادر حديثة، وحقيقة فإن البحث كان أقرب للبحث الوصفي منه إلى البحث النقدي.

*** التعريف بالكونفوشيوسية**

*** تعريف الكونفوسيوسية**

لغة: مأخوذة من اسم المؤسس كونفوشيوس وهي مقسمة إلى كلمتين (كونغ) هو اسم القبيلة أو العائلة التي ينتمي

إليها كونفوشيوس و" فوتسيه"[1] الذي يعني الرئيس أو الفيلسوف أو الحكيم أي " الرئيس أو الحكيم أو الفيلسوف كونغ"[2] ثم حرفت باللغة اللاتينية إلى كونفوشيوس.

اصطلاحاً: هي مجموعة من النظم الأخلاقية والآداب الاجتماعية والعادات المتوارثة في الصين جيلاً بعد جيل والتي دعا كونفوشيوس الحكيم لإحيائها والتمسك بها، وتدعو أيضاً لعبادة إله السماء وتقديس الملائكة وعبادة أرواح الآباء والأجداد"[3].

***كونفوشيوس ولادته ونشأته**

اسمه (كونفوتسيه) والذي يعني (كونغ) هو اسم القبيلة أو العائلة التي ينتمي إليها كونفوشيوس و" فوتسيه" الذي يعني الرئيس أو الفيلسوف أو الحكيم أي " الرئيس أو الحكيم أو الفيلسوف كونغ"[4] ثم حرفت باللغة اللاتينية إلى كونفوشيوس. يطلق عليه أيضاً اسم (معلم الجنس البشري) و (أعظم معلم أنجبته العصور)[5].

ولد (كونغ – فو– دزه) كونفوشيوس في مدينة تسو في إحدى مقاطعات لو بالصين عام (٥٥١ق.م) لأسرة من سلالة أسرة "بين" التي يرجع نسبها إلى الامبراطور الصيني هوانج دي التي حكمت الصين فترة من الزمن حتى أخذتها منها سلالة "زهو" وتروي الأساطير الصينية أنه ولد ولادة إعجازية حيث "أعلنت الأشباح إلى أمه الشابة مولدها غير الشرعي، وكيف كانت الهولات تحرسها والأرواح الإناث تعطي لها الهواء وهي تلده في أحد الكهوف. وتقول تلك الأقاصيص إنه كان له ظهر تنين، وشفتا ثور، وفم في سعة البحر، وإنه ولد من أسرة هي أقدم الأسر الباقية على قيد الحياة إلى الآن لأنه (كما يؤكد علماء الأنساب الصينيون) من نسل الإمبراطور العظيم هوانج– دي، وإن له أحفاداً كثيرين، وإن نسله لم ينقطع إلى وقتنا هذا. ولقد بلغ عدد من تناسل منهم منذ مائة عام أحد عشر ألفاً من الذكور، ولا تزال البلدة التي ولد فيها حتى هذا اليوم لا يعمرها إلا نسله– أو بعبارة أدق إلا نسل ابنه الوحيد ومن نسله وزير المالية في الحكومة الصينية في نانجينغ"[6].

و كان كونفو ثمرة زواج غير شرعي أو غير مطابق للعادات المرعية في ذلك الوقت وكان والد كونغ من رجال الدولة في مملكة لو وكان في السبعين من عمره عندما ولد ابنه وتوفي والده بعد ذلك بثلاث سنوات والتحق بالمدرسة وكان يعمل في أوقات الفراغ ليعيل أسرته وكان يحب الشعر والموسيقى فقد كان يقول: " إن أخلاق الرجل تكونها القصائد وتنميها المراسم وتعطرها الموسيقى"[7].

---

[1] JAMES LEGGE, THE RELIGIONS OF CHINA.CONFUCIANISM AND TAOISM DESCRIBED and COMPARED WITH CHRISTIANITY. London : Hodder and Stoughton 1880.

[2] ينظر: صلاح بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، ص٦٣.

[3] ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان ص٤١٧.

[4] ينظر: صلاح بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، ص٦٣.

[5] ينظر: أحمد محمد الشنواني، كتب غيرت الفكر الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩٠. الجزء الأول ص ٢٥

[6] انظر: ول ديورانت: قصة الحضارة ج٤ ص٤٠. أي وزير المالية في زمن ديورانت.

[7] قصة الحضارة ج٤ ص٤١.

وكان يعمل في رعي المواشي وتروي الأقاويل أنه اهتم بالمواشي وبرع في تربيتها حتى كثر حليبها وقد ألصقت به الأساطير الصينية تسعاً وأربعين صفة عجيبة من صفات الجسم يمتاز بها عن غيره من الناس.

وتزوج في التاسعة عشر من عمره وفي العشرين من عمره أنجب ولداً واحداً ولكنه لم يظهر عاطفة قوية نحو ابنه وزوجته فطلق زوجته في الثالثة والعشرين والذي يظهر أنه تفرغ للعلم ولم يتزوج إلى أن مات ويرى البعض أن سبب تطليقه لزوجته أنه أيقن أن الفلسفة لا تستقيم مع الحياة الزوجية لصعوبة اعتماد الرجل في تلك الأيام في إعالة أسرته على ما تدره الفلسفة في ذلك الوقت[8] .

ولكن في بعض قصائده في كتاب الأغاني يدل على حقده على النساء بعد أن أفسدن دوق (لو) حيث يقول: –

احذر لسان المرأة

إنك لا شك ستلدغ منه عاجلاً وإن آجلاً

واحذر زيادة المرأة

إنها ستصيبك إن عاجلاً أو آجلاً

هو هي هي هو (علامة على التأوه من ألم ما أصابه من النساء)

إنني سأرحل إلى مكان آخر[9]

ويمكن أن نقول إن كونفو يتفق بشكل أو بآخر مع نيتشه في اعتبار أن الزواج والفلسفة يتناقضان تناقضاً بحيث لا يمكن الجمع بينهما حيث يعبر أن الزواج والإنجاب أحد أهم أسباب إيقاف التفكير الإبداعي لدى الفيلسوف وهذا العذر لا يشفع لكونفوشيوس فما فعله يعبر عن أنانية وقصور في الفهم ولا أخلاقية في التعامل فكما أن الفلسفة لا تكفي لإعالة أسرة أيضاً لا تستطيع المرأة لوحدها إعالة ابنها وتنشئته تنشئة سليمة وكما أن الأم مسؤولة عن الولد كذلك الأب لديه مسؤولية أخلاقية واجتماعية عن ابنه.

عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره بدأ يشتغل بالتعليم واتخذ داره كمدرسة له وكان يتقاضى من تلاميذه ما تيسر معهم حيث كان يدرس التاريخ والشعر وآداب اللياقة وتروي كتب التاريخ أنه تتلمذ على يد أحد أشهر الفلاسفة الطاويين واسمه" لوتسو" صاحب كتاب (عن الطريق والفضيلة) حيث كان أستاذه في السابعة والثمانين من حياته وكان من دعاة التسامح المطلق والقناعة فاستفاد منه كونفو كثيراً.

وعين كبيراً للقضاة في جونج دو أواخر القرن السادس قبل الميلاد وتروي الأساطير أنه في أيامه اجتاحت البلاد موجة جارفة من الشرف والأمانة فكان إذا سقط شيء في الطريق بقي حيث هو أو أعيد إلى صاحبه.

وبعد ذيوع شهرته كحكيم وفيلسوف ومصلح عمل بصفة مستشار لعدد من أمراء الملايات والدن الصينية وتقلد عدة مناصب وزارية منها وزارة الأشغال العمومية وفي عام ٥٠١ قبل الميلاد عين كرئيس وزراء ولاية (لو) وكان عمره واحد وخمسون سنة وقد بالغ أتباعه في وصف فترة حكمه وقالوا: " لقد استحت الخيانة واستحى الفساد أن يطلا برأسيهما وأختفيا وأصبح الوفاء شيمة الرجال كما أصبح العفاف ودماثة الخلق

8 انظر: صلاح رسلان: القيم بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر، ١٤١٠- ١٩٩٠ ص١١٨.

9 ينظر: أحمد محمد الشنواني، كتب غيرت الفكر الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩٠. الجزء الأول ص ٢٣

شيمة النساء وجاء الأجانب زرافات ووحداناً من الولايات الأخرى وأصبح كوفوشيوس معبود الشعب"[10].

*** الكلاسيكيات الخمسة: (The Five Classics) (wujing)**

١- التطور التاريخي لكتب كونفوشيوس في الصين حتى عصرنا الحالي

ويذكر ول ديورانت أن أول ما دونه كونفوشيوس هو كتاب (اللي جي) (سجل الطقوس أو المراسم) لاعتقاده أن هذه القواعد القديمة من آداب اللياقة من الأسس الدقيقة التي لا بد منها لتكوين الأخلاق ونضجها واستقرار النظام الاجتماعي والسلام، ثم كتب بعد ذلك ذيولاً و تعليقات على كتاب (إلاي جينج) أو (كتاب التغييرات) ثم اختار ورتب (شي جيج) أو (كتاب الأناشيد) ، وكتب بعد ذلك ال (شو شيو) أو (حوليات الربيع والخريف) ثم كتب (شو جنج) أو (التاريخ)[11].

إن المتتبع للتاريخ الصيني ليدرك حقا أن الكتب الكونفوشيوسية لم تستقر على مستوى ثابت من القداسة، فتارة كانت ترفع وتقدر وتفتح لها المدارس، وتارة تهمش تهميشاً ينزع عنها القداسة! ويرجع ذلك إلى الاختلاف في فكر الحكومات المتلاحقة والتأثيرات السياسية، فهذه الكلاسيكيات التي جمعها كونفوشيوس وحررها وأضاف لها، برزت أهميتها في أنها أصبحت عقيدة رسمية للدولة في فترة حكم أسرة هان (١٤٠ -٨٧ ق.م)، ففي أواخر فترة الربيع والخريف، لم تظفر أفكار كونفوشيوس بالاهتمام، لكن اللافت فعلاً أن الأفكار الكونفوشيوسية تغيرت في فترة عُززت فيها مكانة الكونفوشيوسية إذ قامت طبقة ملاك الأراضي بتعديل أفكار كونفوشيوس حسب احتياجاتهم، فرفعت مكانة كونفوشيوس، وأصبحت الكتب الكونفوشيوسية من أمهات الكتب في الصين، لكن ذلك لم يحفظها من التغيير والتحريف، بل إن منشيوس ارتأى أن يعدل من الفكر الكونفوشيوسي حتى تتناسب النصوص مع مستجدات الزمن، ومع إنه يُذكر عنه أنه يقول عن كونفوشيوس أنه:" أعظم من أنجبت البشرية"، ولا تناقض في هذا مع تغييره لبعض أفكار وتعاليم كونفوشيوس، وقد يوحي ذلك الفعل أن الفكر الكونفوشيوسي فكر غير صالح لكل زمان ومكان فهو عندها بحاجة للتغيير، ويبرر منشيوس عمله بأنه يجل كونفوشيوس ويكبره لكن عمله بحاجة للتبديل لا لاستنقاص ما قام به كونفوشيوس إنما لاختلاف الزمان وظهور الحاجة للتعديل والتغيير. وفي عهد أسرة تشين في القرن الثاني قبل الميلاد قام الامبراطور تشين بإقصاء الكونفوشيوسية وارتُكبت حادثة حرق ودفن كتب رواد الكونفوشيوسية، حيث أصدر الإمبراطور قراراً صريحاً بحرق كتب الكلاسيكيات، ثم في عهد أسرة هان بدأت تعود هذه الكتب إلى مكانتها، وأصبح الاهتمام بها واضحاً إذ قام المفكرون بتلخيص وإجمال أفكار المدرسة الكونفوشيوسية، وعلى إثر ذلك زادت شهرة "كتاب الأغاني" وعرفت أسرة هان الكتاب من خلال أربعة: "لو، تشى، هان وماو،" ومن الجدير بالذكر أن تعليقاتهم ونسخهم المعدلة للكتاب قد ضاعت ولم يتبق إلا نسخة ماو المعدلة للكتاب، أما فترة نهاية أسرة هان فقد "كانت تحفر الكلاسيكيات على الأحجار وتوضع على

10 كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، ص٧١.

١١ قصة الحضارة، الصين ٤/ ٤٩- ٥٠.

جوانب الأكاديمية الوطنية وهو الأمر الذي تكرر ست مرات على مدار القرون حتى آخر مرة بين ١٧٩٢-١٧٩٣م"[١٢].

وفي عام ٢٠٣ م أصدر تساو مرسوماً جاء فيه أنه "يجب الاهتمام وعدم فقدان طرق القديسين القدامى (الكلاسيكيات الخمسة)"، ثم بعد عدة قرون أي في فترة الامبراطور تاى زونج (٦٠٥-٦١٧م) قام الامبراطور بجمع متخصصين في الكونفوشيوسية لتصنيف وتبويب والكلاسيكيات، بعد ذلك جاء هان يو (٧٦٨ -٨٢٤م) وقام بتعديل الكلاسيكيات الكونفشيوسية بالتحديد كتابي "المعرفة الكبرى" و "الطقوس"، ويذكر أن كتاب "مذهب الوسطية" أهمل منذ عهد أسرة تشين لكن حدثت محاولات لإعادة إحياءه، وأكثر نقطة توضح التعامل المتقلب مع الكلاسيكيات كانت عندما قام "ليو تسى جى" (٦٦١-٧٢١م) بانتقاد ما جاء في الكلاسيكيات الخمسة، إذ ذكر بوضوح وجرأة بأن في سفر حوليات الربيع والخريف الذي ينسب إلى كونفوشيوس ١٢ خطأ و٥ عبارات زائفة، بل وذكر بأن الكلاسيكيات تتصف بالتناقض الذاتي، وفي فترة الأسرات الخمس (٩٠٧- ٩٦٠ م) يذكر أنه تمت طباعة الكلاسيكيات الخمسة على الكتل الخشبية لأول مرة، ولما جاء جو شى (١١٣٠ -١٢٠٠م) في عهد أسرة سونغ، أوضح عن الكثير من التحريفات في سفر الأغاني، وشكك في سفر التاريخ، بل حتى كتاب حوليات الربيع والخريف ذكر أنه لا يتفق على أن جميع محتويات الكتاب من تأليف كونفوشيوس، وكان هدفه من ذلك هو تنقيح هذه الكلاسيكيات من التحريفات، وطالت الانتقادات كتاب منشيوس الذي ذكر يه شى أنه مجرد هراء، فهذه الكتب الأربعة التي نتجت في فترة سونج وظلت لمدة سبعة قرون كتبا مدرسية رسمية في المدارس الصينية لا يوجد أي دليل على عدم تحريفها، فالكتب الكونفوشيوسية تدور في دائرة مفرغة، تارة تعلو إذ يصبح الاهتمام بها في غايته، وتارة تهمش، وما ذلك إلا لما يتطلبه الواقع، وفي العصر الحديث وبعد أن بدأ الفكر الغربي يغزو الصين، دعا الساسة المحافظين على ضرورة تعلم الكونفوشيوسية ومن خلال ما يعبر عنها أي الكلاسيكيات والكتب الأربعة.[١٣]

٢- معنى الكلاسيكيات الخمسة

وتسمى (وو جينغ) (**wujing**) وتسمى الكلاسيكيات[14] الخمسة و (كتب القانون الخمسة)[١٥] وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن مؤلفات الأقدمين -كما ذكرنا سابقاً- وقد درس في تلك الكتب تاريخ الصين القديم، وأصول ديانات الأسر والعشائر الصينية القديمة، وأصول الحكم السياسي فيها، والمبادئ التي يقوم عليها النظام السياسي، ونقل أيضاً مجموعة الأغاني التي صدرت عن (تشي اس) ثم (هو تشي) وهما يمثلان الأجداد الخرافيين لأباطرة دولة تشو

[١٢] انظر: خليفة، شعبان عبد العزيز (٢٠٠١). الكتب والمكتبات في العصور الوسطى. (ط٢). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص٤٤٧.
[١٣] يرجع إلى كتاب: مجموعة مؤلفين (٢٠٠٤). تاريخ تطور الفكر الصيني. ترجمة: عبد العزيز حمدى. (ط١). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. خليفة، شعبان عبد العزيز (٢٠٠١). الكتب والمكتبات في العصور الوسطى. (ط٢). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

14 الكلاسيكيات: هي أمهات الكتب القديمة التي شكلت الفكر الصيني وطريقة تفكير الأمة الصينية، وأرست قوانين الكونفوشيوسية التي لا فكاك منها". ينظر: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ص ٤٥٥.
[١٥] ول ديورانت، قصة الحضارة، ٤/ ٤٩.

الصينية، كما درس فروع المعرفة الستة التي كانت سائدة في عصره، وهي التي كانت تسمى بالفنون الستة وهي: الطقوس– والموسيقى– والرماية– وقيادة العربات والجياد– والقراءة– والرياضيات والحساب[16] .

كان شونزي (Xunzi) (ت ٢٣٨ ق.م) أول معلم كونفوشيوسي معروف يكتب عن (الكلاسيكيات) (classics) فيما يتعلق بمجموعة من أربعة نصوص (الكلاسيكيات الخمسة دون كتاب التغييرات) والتي استخدمها (الرو) الملتزمون كمصدر للكتب. لقد تعامل شونزي مع هذه النصوص الأربعة – التي تم تصورها كتقاليد شفوية أو مكتوبة – كنظام واحد حيث يقدم كل منها مجموعة متميزة ومتكاملة من المعرفة لطلاب العصور القديمة.

أما فيما يتعلق بالبرنامج الذي يدرسه الطلبة، فإن التعلم يبدأ بترديد الكلاسيكيات بصوت عالٍ لحفظها واستيعابها وينتهي بقراءة الطقوس[17].

٢– مؤلف الكلاسيكيات الخمسة

لا يعرف على وجه التحديد من هو مؤلف الكلاسيكيات الخمسة، فكل مجموعة منها لها مؤلف أو عدد من المؤلفين القدماء، والتنوع في أساليب كتابة تلك الكلاسيكيات يؤكد فرضية أن لكل مجموعة كاتب مستقل، لكن تلك الاختلافات لم تقنع العديد من أساتذة الكونفوشيوسية فقد افترضوا أن رسالة واحدة متماسكة تكمن وراء كل الكلاسيكيات الخمس[18] .

لكن هذا القول لم يعد يقوى أمام النقد العلمي الحديث، فمدارس النقد في القرنين الأخيرين لديها شبه إجماع على أن هذه الكلاسيكيات متنوعة المصادر والأزمنة أيضاً.

كما أننا لا يمكن أن نعطي تاريخاً تقريباً لتاريخ تأليف كل من تلك الكلاسيكيات، فهي فيما يبدو نصوص تطورت مع تعاقب الأسر الحاكمة في الصين.

وتنسب تلك النصوص عادة إلى كونفوشيوس الحكيم، ويوصف بأنه هذبها ورتبها وأشرف على صيغتها النهائية، ولا يدعي أحد أنه هو المنشئ الوحيد لمادتها العلمية.

ويرى ميشيل نيلان (MICHAEL NYLAN)أننا يمكننا نسبة هذه الكلاسيكيات إلى كونفوشيوس بمعنيين فقط: –

أولهما: أنه ربما استخدم كونفوشيوس وأتباعه بعضًا منها – ولكن ليس كلها – كقوالب للتعليم الأخلاقي، تمامًا كما استخدم المعلمون اليونانيون ذات يوم هوميروس.

ثانياً: وتنسب التقاليد المبكرة إلى كونفوشيوس مهام تجميع وتحرير، وفي بعض الحالات القليلة تأليف الأجزاء المنفصلة في هذا المستودع من نصوص الحكمة، على الرغم من أن الدراسات الحديثة تدحض عمومًا هذه الأساطير التقية[19].

[16] ينظر: أحمد محمد الشنواني، كتب غيرت الفكر الإنساني ص ٢٥.
[17] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 11.
[18] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 8.
[19] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 8.

٣- تطور نص الكلاسيكيات الخمسة وإشكالية النقل الشفوي

ويرى الباحثون الصينيون القدامى أن "الكلاسيكيات الكونفوشيوسية الخمس" خضعت لعملية نقل دقيقة من التقليد الشفوي إلى أن أصبحت بالشكل الذي عليه اليوم، فهم يفترضون أن رجال الدين والسياسة قد حفظوا النصوص ونقلوها إلى تلاميذهم بأمانة ودقة، وهذا النقل كان متوارثاً لقرون عديدة، ولا مجال للخطأ في أو التحريف فيها فقد كان النَّقلة يخضعون لامتحانات صارمة، إلى أن أتى كونفوشيوس وحرر تلك النصوص ودونها .

لكن الرأي الحديث أصبح يميل إلى أن النص الحالي هو نسخة معدلة عن النص الأصلي فهناك تحريف في فهم النصوص الأصلية، وهو يشير إلى ارتباط مباشر بكونفوشيوس التاريخي (٥٥١-٤٧٩ ق.م) ويرى هؤلاء أن معظم النصوص التقليدية كانت تتطور في أشكال شفوية ومكتوبة لعدة قرون قبل أن تكتسب تسمية "كلاسيكية" أو "كونفوشيوسية"؛ ومن ثم فإن هناك مناهج مختلفة للغاية في التعامل مع القضايا الاجتماعية والسياسية والكونية، حيث يمكن تمييزها بين النصوص وحتى داخلها.

وبالرغم من أن التقاليد الصينية والكونفوشيوسية تدعي قدم هذه المجموعة، إلا أنه لا يوجد عمل موجود يرجع تاريخه إلى ما قبل أواخر القرن الثالث للميلاد يناقش هذه المجموعة من النصوص باعتبارها مجموعة واحدة. وليس من الواضح حتى الآن عدد أو مقدار النصوص التي تمت كتابتها بحلول ذلك التاريخ. ومن الغريب أيضاً أنه لا توجد أية تقاليد مسجلة قبل سنة (١٠٠٠م) تشير إلى كونفوشيوس باعتباره كان مؤلفًا أو محررًا أو جامعًا لهذه المجموعة. ولكن في ذلك الوقت تقريبًا، في منتصف حكم هان، حدث انفجار فعلي في الاهتمام بالكلاسيكيات الخمسة، مدفوعًا جزئيًا برعاية الإمبراطورية، والتي أدت في النهاية إلى توحيد الشكل الذي ستتخذه النصوص القانونية، ومنح امتيازات لبعض القراءات المرتبطة بكل منها، بينما نسبت كل تعاليمها في النهاية إلى شخصية كونفوشيوس، إما بشكل مباشر أو من خلال بناء الأنساب المدرسية[20].

ويمكن أن نقول إن الحديث الفعلي لهذه الكلاسيكيات يبدأ من عهد أسرة هان(٢٠٦ قبل الميلاد، حتى ٢٢٠ بعد الميلاد)، ومنها استمد التعليم الكلاسيكي الذي ترعاه الدولة ـ والذي يُطلَق عليه غالبًا "الكونفوشيوسي" في حين أن التعليم (الرسمي) أو (الأرثوذكسي) قد يكون أكثر ملاءمة فقد كان يعتمد على تعاليم العديد من المفكرين غير الكونفوشيوسيين، وهذا التعليم كان يتعامل بشكل أفضل مع التعقيدات (التي لم يتوقعها كونفوشيوس كثيرًا) والتي ترتبط بحكم إمبراطورية. وقد استمر هذا النمط من الاقتراض، الذي لم يتم الاعتراف به عادةً، طوال التاريخ الإمبراطوري.

ومما يجدر الإشارة إليه أنه اقتصر استخدام كلمة "كونفوشيوسية" على أتباع تعاليم كونفوشيوس الأخلاقية ومنتجاتها الثقافية. لم يسبق لأي عالم من علماء ما قبل الحداثة

[20] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 6- 7.

أن أشار إلى الكتب الكلاسيكية الخمسة باعتبارها كتبًا كلاسيكية كونفوشيوسية[21].

ويفترض الغربيون أن سرد قصة الكلاسيكيات الكونفوشيوسية الخمس بالكامل يتطلب من الناحية النظرية استعراضاً مطولاً لأربع حضارات متداخلة على مدى نحو ألفي عام، وتسجيل القضايا والأزياء المتغيرة في الدراسات الكلاسيكية التي عكست وغيرت في الوقت نفسه حقائق الحياة في الصين الإمبراطورية، ورسم خريطة للأهمية المتغيرة لكل كلاسيكية مع قيام المعلقين والقراء المتعاقبين بتزويدها بتفسيراتهم وإضافاتهم المتنوعة. وحتى مثل هذه القصة الضخمة لا تزال غير موثوقة بشكل واضح. لأن الكيان المستقر الذي أطلق عليه العلماء اللاحقون اسم الكونفوشيوسية لم يكن موجوداً حقاً قط. فالكونفوشيوسية" تعتبر تجريداً وتعميماً ـ مفيداً على ما يبدو ولكنه في كثيرٍ من الأحيان يكون غامضاً ـ نتاجاً لمشاركة فكرية مستمرة بقدر ما هي موضوع لها[22]

وبناء على هذه المعلومات فإننا أمام معضلة النقل الشفوي، والتي تشترك فيها كل الأديان في شرق آسيا، فليس بين أيدينا وثائق لصيقة بعصر كونفوشيوس تؤكد نسبة تلك الكلاسيكيات إليه فنحن أمام فجوة زمنية كبيرة لا نعلم شيئاً عن ملابساتها.

وأيضاً ينبغي التنويه إلى أن المدارس التفسيرية للنصوص الخمسة أثرت بشكل كبير في تطور النصوص إلى ما عليه الحال في زماننا هذا، فكما هو معلوم إن النص حمال أوجه وكل مدرسة تفسره بحسب فهمها وميولها وأهدافها ثانياً، وهي تعتمد على مناقشات تقنية وامتدادات دلالة للكلمات الأساسية، وبطبيعة الحال تلك الاختلافات أدت إلى نزاعات بين المدارس ولا نعلم ما هي معايير اعتماد تفسير دون آخر سوى أن السلطة القائمة توافق على اعتماده فيصبح هو التفسير القانوني.

٣– أهمية الكلاسيكيات الخمسة في الفكر الصيني القديم

ويرى الصينيون أن الكلاسيكيات الخمسة تجسد بلوغ التقاليد الكونفوشيوسية الصينية مرحلة النضج الكامل، حيث قام بإدراج كل النصوص الهامة التي كانت قبل الكونفوشيوسية، مثل شوجينج (the Shujing)"كلاسيكيات التاريخ" وشيجنج (the Shijing) "كلاسيكيات الشعر"، ومواد تشين هان (Qin–Han) المعاصرة، مثل أجزاء معينة من (لي جي) (Liji) "سجل الطقوس"، يشير الباحثون إلى أن الروح الدافعة لإنشاء المناهج الأساسية للتعليم الكونفوشيوسي كانت مسكونية عالمية. يمكن أن ننظر إلى "الكلاسيكيات الخمس" ضمن خمسة رؤى هي: الميتافيزيقية، والسياسية، والشعرية، والاجتماعية، والتاريخية[23].

ومن التاريخ الممتد من عام ١٣٦ للميلاد إلى عام (١٩٠٥)م كانت دراسة الكلاسيكيات الخمس من الشريعة "الكونفوشيوسية" ـ الأناشيد، والوثائق، والطقوس، والتغييرات، ومذكرات الربيع والخريف ـ تشكل جزءاً على الأقل من المنهج الذي يجب على المتقدم لاختبارات الحكومية المطلوبة من جميع المرشحين تقريباً للوظائف البيروقراطية الإمبراطورية الصينية. وأصبحت الكونفوشيوسية عمادًا أيديولوجيًّا مهمًّا للدولة

[21] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 2.

[22] www.britannica.com,Confucianism.

[23] www.britannica.com,Confucianism

الصينية منذ حكم الأسرة هان. حيث أصدر الإمبراطور (وُو)(حكم ١٤٠-٨٧ ق.م.)، فور صعوده إلى العرش في (١٤١) قبل الميلاد، بتقديس هذه النصوص الخمسة كمجموعة وحذف غيرها[24]، وأصدر قرارًا إمبراطوريًّا يقتضي بطرد كل غير المنتمين إلى الكونفوشيوسية من العمل الحكومي، وبعد ذلك بسنوات قليلة في سنة (١٢٤) قبل الميلاد، أنشأ الأكاديمية الإمبراطورية التي اتخذت الكلاسيكيات الخمسة منهجًا أساسيًّا لها. وسيصبح طلاب الأكاديمية، الذين يُظهِرون معرفتهم بواحد أو أكثر من الكلاسيكيات الخمسة في اختبارات آخر العام، مسئولين مستقبليين، وسيحتلون مناصب في الديوان الحكومي فور شغورها[25]. وعلى هذا فإن أفراد المجتمع الأكثر ثقافة في الصين ما قبل الحديثة، حتى أولئك الذين فشلوا في الاختبارات أو اجتازوها ولكنهم لم يشغلوا مناصب قط، كانوا يتمتعون بمعرفة كبيرة بالكلاسيكيات الخمسة والتي وفرت لهم مخزوناً مشتركاً من المعرفة. ومع خضوع الحكومات المتعاقبة في مختلف أنحاء شرق آسيا للهيمنة الثقافية للنظام الصيني، أصبحت الكلاسيكيات تؤثر على الفكر والسياسة في كوريا واليابان وأستراليا وفيتنام وغيره من دول جنوب شرق آسيا، فقد احتلت مكانة كبيرة في فترة من الفترات تساوي المكانة التي احتلها القرآن الكريم عند المسلمين، و العهد القديم والجديد في الغرب، حيث صيغت حججها المقنعة في صيغ أنيقة، و"عبارات دقيقة ذات دلالات عميقة" (ويان داي) (weiyan dayi). كان يُعتقد أن هذه النصوص المرتبطة بالحكيم الأعلى لدى الصينيين كونفوشيوس، تضع نموذجًا لما يعنيه أن تصبح إنسانًا متطورًا تمامًا، وكذلك المبادئ التي سمحت بالعمليات المعقدة والمترابطة لإعادة الإنتاج السياسي والاجتماعي والثقافي. وبالتالي ربط الأجيال المتعاقبة للحفاظ على الدولة والهوية الشخصية عبر نشر هذا التقليد النصي. وبافتراض أن العالم أخلاقي ومفهوم، فإن الآراء التي تم التعبير عنها هناك تتحدى إلى حد ما المفاهيم الحديثة وما بعد الحداثة السائدة[26].

وبحلول القرن العاشر، و مع زيادة استخدام اختبارات الخدمة المدنية، أصبحت الكونفوشيوسية العقيدةَ المهيمنة؛ أي ما يشبه مذهب الدولة. وهكذا مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد، ازداد تحول الدولة الصينية إلى (الكونفوشيوسية)؛ أي إنها صارت دولة ذات إدارة نخبوية كونفوشيوسية، ترتكز سياستها ومبادئ حكمها، نظريًّا على الأقل، على التعاليم الكونفوشيوسية[27].

ومع مرور الزمن أصبحت الكلاسيكيات يروج لها على أنها تشكل رؤية عالمية، وأخلاق اجتماعية، وأيديولوجيا سياسية، وتقاليد علمية، وطريقة حياة في الصين ومما ساعد على ذلك أن التعلم الكونفوشيوسي المبكر كان متشابكاً بشكل كبير في البداية مع الأفكار التي سبقت الكونفوشيوسية حول الأهمية المركزية للالتزام الأسري وعبادة الأسلاف، ثم مع نظريات أخرى

[24] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 2.

[25] ينظر: دانيال كيه جاردنر، الكونفوشيوسية مقدمة قصيرة جداً، ترجمة أسماء الطيفي، دار هنداوي، ٢٠١٧. ص٩١- ٩٢.

[26] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, YALE UNIVERSITY PRESS/NEW HAVEN & LONDON, 2001, p 1. 2. MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS p2.

[27] ينظر: دانيال كيه جاردنر، الكونفوشيوسية مقدمة قصيرة جداً ص ٩٢.

غير كونفوشيوسية، فقد أصبح من المستحيل التمييز بوضوح بين التاريخ الكونفوشيوسي وبقية التاريخ والحضارة في الصين،

٥- ترتيب الكلاسكيات الخمسة

واختلف الباحثون في ترتيب هذه الكتب فمنهم من قال إن ترتيبها الصحيح هو: سفر التغيرات ثم سفر التاريخ ثم سفر القصائد ثم سفر الشريعة ثم سفر الموسيقى ثم سفر الربيع والخريف، ويرى أصحاب هذا الرأي أن كاتب الأسفار هو (تشو كونغ) ما خلا سفر الربيع والخريف واقتصر عمل كونفوشيوس على الترتيب والجمع والتحرير والتصنيف فقط فهذا الترتيب يراعي زمن نشأة كل سفر منها أو حسب المحتويات المتعلقة بالزمن.

ويرى غيرهم أن الترتيب الصحيح هو سفر القصائد ثم سفر التاريخ ثم سفر الشريعة ثم سفر الموسيقى ثم سفر التغيرات ثم سفر الربيع والخريف ويرى أصحاب هذا القول أن كونفوشيوس نفسه هو الذي عمل تلك الأسفار ووظيفتها الأساسية تعليم الناس وتربيتهم يرتبونها حسب عمق معاني محتويات تلك الأسفار وبساطتها بالنسبة للدارسين. كما أن هناك اختلافاً بين النسخة القديمة وبين النسخة الحديثة فيما يتعلق بالأسفار من حيث الزيادة والنقص في بعض الألفاظ والفصول في بعض الأسفار[28].

١- محتويات الكلاسيكيات الخمسة

إن الكلاسيكيات الخمسة -كما ذكرنا- تتحدث حول عدد من المواضيع، وكل مجموعة منها لها موضوع معين وهدف خاص وهذه الكلاسيكيات هي: -

١- كتاب الأغاني أو الشعر: ويسمى (الأغاني أو الأناشيد) ويسمى بالصينية (Shih ching) (تشي كينغ)[29] أو (شيه تشانج) يُعرف الشعر أيضًا باسم (Mao shih)، أو اختصاراً باسم (Shih)[٣٠].

ويعد كتاب (كتاب الأغاني أو الشعر) أول الكلاسيكيات التراثية الصينية من حيث الترتيب، وله أهمية كبرى لدى الكونفوشيوسية حيث يقول كونفوشيوس: "حوى كتاب الشعر أكثر من ثلاثمئة قصيدة يمكن إيجازها في عبارة واحدة: "ليس أطهر من هذا الشعر وقائله"[٣١]

ويتألف من ثلاثمائة وخمسة أغاني وتقسم الأغاني إلى:-

(١٦٠) أغنية شعبية.

(١٠٥) أغاني احتفالية تُغنى في احتفالات البلاط.

(٤٠) ترنيمة ومديح تُغنى في التضحيات للأبطال والأرواح الأجداد للبيت الملكي[32] .

ويضاف إليها ستة تواشيح دينية.

---

[28] ينظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية: ترجمة وتعليق ودراسة مقارنة بالإسلام ; زهرة الدين طيب إدريس. ص٢٢. الكونفوشيوسية دراسة تحليلية في ضوء العقيدة الإسلامية ص١٧٩

[29] THE CLASSICS OF CONFUCIUS BOOK OF ODES (SHI-KING), BY L CRANMER-BYNG، JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET , 1906. pp15- 45.

[٣٠] Handbook of Reference Works in Traditional Chinese Studies (R. Eno, 2011), CONFUCIAN CLASSICAL STUDIES p3.

[٣١] محاورات كونفوشيوس، تحقيق: ليو جون تيان- لين سونغ، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠ ص٢١

[32] wikipedia.org, Four Books and Five Classics.

تغني تلك الترانيم بمصاحبة الموسيقى التقليدية.

تتألف (الأغاني) من مجموعة من الأغاني التي تعكس الحياة اليومية في البلاط والريف خلال فترة تشو الشرقية؛ وتتضمن نفس المجموعة سلسلة من الترانيم، التي ألفت خصيصًا للطقوس الرسمية، والتي تروي الكثير من المعتقدات الأسطورية التي انتقلت من أسرة تشو المبكرة. وتزعم الوثائق أنها مجموعة من المواد الأرشيفية القديمة التي تحافظ على المراسيم والنصب التذكارية المهمة والتي تحدد مسؤوليات النخبة الحاكمة تجاه السماء وعامة الناس.

وعادةً ما يتم التعامل مع الطقوس الكلاسيكية الثلاثة، الطقوس (ييلي)، وسجلات الطقوس (ليجي)، وطقوس تشو (تشولي)، باعتبارها قانونًا واحدًا، وتتضمن ما يصل إلى ثلاثة آلاف قاعدة منفصلة للسلوك، بالإضافة إلى أوصاف رائعة لهيكل حكومي مثالي وحكايات عن نماذج الفضيلة الكونفوشيوسية[33].

ويقدر الباحثون زمن كتابتها ابتداءاً من القرن العاشر إلى القرن السابع قبل الميلاد.

وكان كونفوشيوس يثني على تلك القصائد ويأمر بقرائتها حيث يقول: "ثلاثمائة قصيدة يمكن أن تلخص في كلمة واحدة هي: لا تفكر في الضلالة"[34].

وهي تعطي فكرة عن الأديان التي كانت سائدة في الصين وعن الموروث التراثي، والأهازيج الشعبية في الولايات الصينية في العصور القديمة.

ويقسم كتاب الأغاني إلى ثلاثة أقسام: –

القسم الأول: يسمى (فونغ) أي العادات: وهو مجموعة من الأشعار التراثية التي جمعت من خمس عشرة إمارة والتي كانت تحت حكم أسرة (تشو) الملكية

والقسم الثاني: يسمى (يا) أي اللباقة: وهو مجموعة من الأشعار التي جمعت من شعراء البلاط الملكي.

القسم الثالث: يسمى: (سونغ) أي الثناء: وهو مجموعة من الأشعار في الثناء على الملوك القدامى من أسرة (تشو) و)تشانغ) الملكيتين[35].

وهذه القصائد صورت الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية في العهود القديمة وبالأخص في عهد أسرتي (تشو) و(تشانغ) قصائد حب وبعضها قصائد سياسية وترانيم طقسية.

[33] MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 8.

[34] حوارات كونفوشيوس، الفصل الثاني رقم (٢)

[35] ينظر: أوديل كالتنمارك، الأدب الصيني، ترجمة هنري زغيب، مكتبة عويدات، الطبعة الأولى، ١٩٨٨. ص٢٥.

٢– كتاب التاريخ: أو (الوثائق): ويسمى (Shu ching) (تشو شينغ) (تشو كينغ) وهي تتضمن بعض الوثائق شبه التاريخية، ويعد أقدم الكتب التي ورثها كونفوشيوس من تراث الحضارة الصينية والأسلاف، ويحوي الكتاب على ثمانية وخمسين نصاً أربعةٌ وثلاثين منها يعد أصيلاً وباقي النصوص تعد إضافات خارجية للنص أو بمثابة تفسيرات، حيث أصيب التراث الصيني بانتكاسة في عام ٢١٣ قبل الميلاد فقد وقع حريق ضخم في المكتبة التي تحتوي على معظم التراث الصيني فأحرقت معظم الوثائق، وبعد انقضاء الكارثة عكف بعض الفلاسفة والحكماء على إعادة تدوين التراث الذي أحرق بالاعتماد على ذاكرتهم في أغلب الأحيان فنشأ ما يسمى في التراث الصيني "بالمخطوطات الجديدة" وأصبحت هذه المخطوطات بمنزلة الأصل لكن بعد ذلك في عصر أسرة (هان) قرر أحد أمراء مقاطعة (لو) هدم أحد المباني الحكومية لإقامة معبد مكانه ولكنهم اكتشفوا تحت ذلك المبنى عدداً كبيراً من المخطوطات، وكانت تلك المخطوطات أقدم من التي دونها الفلاسفة بعد الحريق فاعتبرت تلك المخطوطات هي الأصل وما زاد عليها هو بمنزلة تفسيرات لها[36]

وتأتي أهمية كتاب التاريخ من أنه يضم أقدم الوثائق التاريخية ويحتوي ايضاً على أقدم الأساليب الصينية في التأليف والكتابة[37] وتحوي أيضاً خطباً تعود إلى التاريخ الصيني القديم تبدأ في القرون الأولى لأسرة (يا) وأسرة (تشو)[38]. حيث تتعلق أحداثها بحوادث القرن السابع قبل الميلاد ويعود أقدمها إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد[39].

كما أنها تشمل الأوامر والمراسيم الملكية والإمبراطورية للأسر الحاكمة في الصين عندما كانت الصين موحدة.

كما جمع في الكتاب أهم ما وجد من حِكم الملوك الأولين من الحوادث و الأقاصيص التي تسمو بها الأخلاق وتشرف بها الطباع[40].

ويقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: –

الشريعة:

الإعلان:

التعليمات:

٣– كتاب التغيرات: أو التحولات أو (كتاب العرافة) يسمى (يي تشينغ) (Yi ching) (IChing) (ييجينغ) (Yijing)[41] والإسم يعبر عن مبدأ القطبية في الصين والذي يقسم إلى كلمتين الأولى (يانغ) والذي يعني (النور والعنصر الذكري)

والثانية (ين) يعني (الظلمة، العنصر الأنثوي)، وقد تعني (كتاباً مقدساً)[42]. حيث يعد الكتاب مقدساً عند الصينيين.

---

36 ينظر: فؤاد محمد الشبل، حكمة الصين دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني، دار المعارف مصر، طبعة ١٩٦٨ ص٣٤.

37 ينظر: هالة أبو الفتوح أحمد، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، دار قباء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م ص٣٤.

38 شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى الشرق المسلم الشرق الأقصى ص٤٥٥.

39 ينظر: ه. فان براج، حكمة الصين، ص١١.

40 ينظر: أحمد محمد الشنواني، كتب غيرت الفكر الإنساني ص٢٧.

41 كتاب التغيرات (إيجنغ)، نقلته إلى الإنجليزية س. ف. باينز، ترجمة: بشار عبد الله، دار فضاءات للنشر عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

42 هالة أبو الفتوح, فلسفة الخالق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، ص٤٣.

ويذكر أن مؤلف هذا الكتاب هو (ون وانج) أحد مؤسسي أسرة (جو) في سجنه، وأبسط مبادئه مستمدة من (فوشي) الذي عاش قبله بزمن طويل، ولا يكاد يوجد في الأدب الصيني كله كتاب ذو شأن في علم ما وراء الطبيعة غير تلك الوثيقة التي يبدأ بها تاريخ التفكير الصيني المدون[٤٣]

ويرى الباحثون أن الرؤية الميتافيزيقية، التي عبر عنها كتاب "ييجينغ" (Yijing)"كلاسيكيات التغيرات"، تجمع بين فن التنبؤ بالغيب وتقنية علم الأعداد والبصيرة الأخلاقية. وتروي الأسطورة أن الامبراطور الأسطوري (فوشى) اخترع الجوات الثماني أو التثاليث الرمزية التي ترى علوم ما وراء الطبيعة عند الصينيين أنها تنطبق على قوانين الطبيعة وعناصرها ويقولون إن كل واحد من هذه التثاليث يتأليف من ثلاث خطوط بعضها متصل ويمثل عنصر الذكورة أو (اليانغ) وبعضها منقطع ويمثل عنصر الأوثة أو (الين)[٤٤] ووفقاً لفلسفة التغيير، فإن الكون عبارة عن تحول عظيم ناجم عن التفاعل المستمر بين الين واليانج، وهما قوتان متكاملتان ومتعارضتان في الوقت نفسه (تشي). والعالم الذي ينبثق من هذا التحول المستمر، يظهر وحدة الكائن الحي وديناميكيته. والشخص المثالي، المستوحى من الانسجام والإبداع في الكون، لابد أن يحاكي هذا النمط من خلال السعي إلى تحقيق المثل الأعلى المتمثل في "وحدة الإنسان والسماء" (تيان رينهي) (tianrenheyi) من خلال الجهد الذاتي المتواصل[45].

وهو من الكلاسيكيات المخضرمة التي تجمع بين عصرين وقد بنيت حول الأشكال الثمانية المثلثة (محاطة بثمانية (تريغرام)[46] والأشكال الأربعة وستين المسدسة والتي تمثل العناصر الأساسية[47] وتمثل نظاماً للعرافة أو التنبؤ، والذي وُجِد ليكون بديلاً لنظام عظم الكتف[48].

وإن كان الكتاب في الأصل هو للإفادة في علم التنجيم والتنبؤ بالأحداث المستقبلية وما يسمى (العرافة)، وهي أيضاً تمارين خاصة في الكهانة، لكن يرى الباحثون أن كونفوشيوس بحكمته وعبقريته استطاع أن يحول علم التنجيم الذي يدور في فلك الميتافيزيقا إلى دراسة علمية للسلوك الإنساني، وكيف يتأثر الإنسان على العموم بالعوامل والظروف الطبيعية والاجتماعية التي تكتنفه وتؤثر عليه.

ويمكن عن طريق هذه الدراسة التنبؤ علمياً بسلوك الفرد في المستقبل، ومعرفة فلسفة تطور الحوادث الإنسانية، وكان كونفوشيوس يرى في هذا الكتاب خير ما أهدته الصين إلى علم ما وراء الطبيعة[49].

---

[٤٣] ول ديورانت، قصة الحضارة (حضارة الصين) ص٢٧.
[٤٤] ول ديورانت، قصة الحضارة (حضارة الصين) ص٢٧.
[45] www.britannica.com،Confucianism.
[46] تريغرام: هي ثلاثة خطوط فوق بعضها البعض يستعملها العرافون الصينيون.
[47] ينظر: ه. فان براج، حكمة الصين، ص١١.
[48] ينظر: شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى الشرق المسلم الشرق الأقصى ص٤٥٥
[49] ينظر: أحمد محمد الشنواني، كتب غيرت الفكر الإنساني، ص٢٧.

٤- حوليات الربيع والخريف: (Spring and Autumn Annals)

مجموعة الربيع والخريف باللغة الصينية(تشن شو زوو زهوان) (Chun Qiu Zuo Zhuan) وهو كتاب تاريخي وسجل زمني بالأحداث الرئيسية كما وقعت في دولة (لو)[٥٠] أو كما سجلت هناك في الفترة الواقعة بين سنوات (٧٢٢ – ٤٧٩ ق.م)[51].

والحوليات تغطي فترة اثنا عشر حاكماً من حكام الصين وهم[52]:

اسم الحاكم	فترة الحكم
魯隱公 Lu Yingong Duke Yin	712- 722
魯桓公 Lu Huangong Duke Huan	711- 694
魯莊公 Lu Zhuanggong Duke Zhuang	693- 662
魯閔(潛)公 Lu Mingong Duke Min	661- 660.
魯僖(釐)公 Lu Xigong Duke Xi	659- 627
魯文公 Lu Wengong Duke Wen	(626-609)
Lu Xuangong Duke Xuan	608 -591
魯成公 Lu Chenggong Duke Cheng	590- 573
魯襄公 Lu Xianggong Duke Xiang	572- 542
魯昭公 Lu Zhaogong Duke Zhao	541- 510
魯定公 Lu Dinggong Duke Ding	509- 495
魯哀公 Lu Aigong Duke Ai	494- 467

وقد اشتهرت تلك الحوليات في الفكر التقليدي الصيني وهي لا تسرد حوادث سنين حكم الأباطرة في فترة حكم (لو) فحسب، بل تم إدراج عناوين متوسطة المستوى تشير إلى الفصول، والتي أعطت السجلات عنوانها. وإن الإدخال في الحوليات موجزة للغاية وليس من السهل فهمها دون معرفة خاصة بالخلفية التاريخية. وإن هناك جزء من الإدخالات مفقود أيضًا.

٥- كتاب الطقوس: أو (كتاب الشعائر)

أو (المراسم) (لي شي) (للي جي): (Li-chi) أو (التقاليد) وينسب إلى الامبراطور الصيني (ياو) الذي حكم أكثر من مئة سنة بين عامي (٢٣٥٧ قبل الميلاد) و (٢٢٥٥ قبل الميلاد) وبهذا تعد أقدم وثيقة صينة مكتوبة وصلت إلينا، ويذكر أن أول ما دونه كونفوشيوس هو كتاب (سجل المراسم) لاعتقاده أن هذه القواعد القديمة من آداب اللياقة من الأسس الدقيقة التي لا بد منها لتكوين الأخلاق ونضجها واستقرار النظام الاجتماعي والسلام[٥٣] ويرى كثير من الباحثين أننا ينبغي أن تكون حذرين في نسبة الوثيقة إلى عصر (ياو) فليس بين أيدينا ما يقطع بتاريخ كتابتها، لكن النقد الحديث في الغرب وعلماء الصين يميل إلى الاعتقاد بأنها تحتوي جزءاً من الحقيقة، ويدعي المتفائلون أن التنقيبات الحديثة كشفت اقتراب تلك الوثيقة من الحقيقة.

50 Wai-yee Li, David Schaberg, Zuo Tradition Zuozhuan Commentary on the Spring and Autumn Annals,(2016) University of Washington Press, xxiv

51 ينظر: شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى الشرق المسلم الشرق الأقصى

52 Chinaknowledge.de, Chinese Literature ،Spring and Autumn Annals.

٥٣ قصة الحضارة، الصين ٤/ ٤٩.

وينظر كونفوشيوس إلى (ياو) نظرة إجلال وإكبار وكان يقول: "كان (ياو) ملكاً عظيماً ما من شيء يرتفع أعلى من السماء ولكن ياو كان منسجماً مع نفسه، وكانت فضيلته من العِظم بحيث أن الشعب لم يجد اسماً لوصفها"[54].

وكان (ياو) يوصف بالفاضل فما تناقله المؤرخون من سيرته يدل على أنه كان عادلاً، يسهر على أمن وراحة رعيته، وكان نافذ البصيرة، ثاقب الذهن، ذا فضيلة تامة وحكمة نادرة وكان رنيناً عطوفاً يتراجع عن الخطأ إذا روجع، بلغ نفوذه وشهرته حتى أقصى حدود الامبراطورية، وحتى آخر حدود السماء والأرض، وبهذه الطريقة العادلة رسخ الوئام في صفوف طبقات عائلته التسع وعندما ساد الوفاق في عائلته نظم جميع عوائل إمارته[55].

ويرى آخرون أنه عمل متأخر ربما يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فيه وصف للطقوس الدينية الصينية القديمة التي مورست في القرون السابقة[56]، مع معالجة النظام الأساسي لأسرة تشو تلك الأسرة التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الصيني البعيد، كما يعالج عدداً كبيراً من العادات والتقاليد الدينية والسياسية الهامة في الصين[57].

ويوصف الطقوس بأنه المصدر العظيم للنماذج والمخطط الكامل للتصنيف. وبالتالي يصل التعلم في المدارس التقليدية إلى كماله مع الطقوس، لأنه يمكن القول إنها تمثل أعلى درجات التميز في الطريق وهذا الكتاب يمتلك قوة (كارزمية) (charismatic power)، بحسب التقليد التعليمي، فالأنماط الموقرة للطقوس، والتناغمات المناسبة للموسيقى (الموسيقى الكلاسيكية؟)، واتساع الأناشيد والوثائق، ودقة سجلات الربيع والخريف – كل هذا يشمل كل ما يقع بين السماء والأرض[58].

*** النتائج**

١- لا يعرف على وجه التحديد من هم كتّاب الكلاسيكيات الخمسة.

٢- لا يوجد تاريخ معروف لزمن تأليف الكلاسيكيات الخمسة، والراجح أنها كانت في فترات متباعدة.

٣- تعد الكلاسيكيات الخمسة أهم الكتب في الكونفوشيوسية.

٤- أثرت الكلاسيكيات الخمسة بشكل كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية في الصين.

٥- خضعت الكلاسيكيات الخمسة لتعديلات كثيرة عبر العصور بحيث بات من المتعذر معرفة النص الأصلي من المعدل.

٦- تشهد الكونفوشيوسية إعادة إحياء في الصين، على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي على الأقل.

٧- اهتمت الكلاسيكيات الخمسة بالحياة الاجتماعية في الصين، وبالحديث عن الجانب الأخلاقي الذي ينبغي أن يسير عليه أفراد الصين.

٨- يعد كونفوشيوس هو الناقل والمعلق على الكتب الخمسة، وعنه اشتهرت تلك المؤلفات، و لكن ليس هو المؤلف الأصلي لها.

---

54 ينظر: ه. فان براج، حكمة الصين، ص١٢.
55 ينظر: ه. فان براج، حكمة الصين، ص١٢- ١٣.
56 ينظر: شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى الشرق المسلم الشرق الأقصى ص٤٥٦.
57 دكتور حسن شحاتة سعفان، الكتب الخمسة لكنفوشيوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ ص٧٨٣.
58 MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, pp 11.

*** المراجع**

اولاً– المراجع العربية

أحمد محمد الشنواني، كتب غيرت الفكر الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

أوديل كالتنمارك، الأدب الصيني، ترجمة هنري زغيب، مكتبة عويدات، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

كونفوشيوس، حوارات كونفوشيوس، الفصل الثاني رقم (٢)

دانيال كيه جاردنر، الكونفوشيوسية مقدمة قصيرة جداً، ترجمة أسماء الطيفي، دار هنداوي، ٢٠١٧.

حسن شحاتة سعفان، الكتب الخمسة لكنفوشيوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥

شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى الشرق المسلم الشرق الأقصى

صلاح الدين بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

صلاح الدين بسيوني رسلان: القيم بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر، ١٤١٠– ١٩٩٠.

فؤاد محمد الشبل، حكمة الصين دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني، دار المعارف مصر، طبعة ١٩٦٨

كتاب التغيرات (إيجنغ)، نقلته إلى الإنجليزية س. ف. باينز، ترجمة: بشار عبد الله، دار فضاءات للنشر عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية: ترجمة وتعليق ودراسة مقارنة بالإسلام ; زهرة الدين طيب إدريس.

ناصر الشهراني، الكونفوشيوسية دراسة تحليلية في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٦.

مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

هـ. فان براج، حكمة الصين، ترجمة: موفق المشنوق، الأهالي للطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م

تسنغ شن، محاورات كونفوشيوس، تحقيق: ليو جون تيان– لين سونغ، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠ .

هالة أبو الفتوح أحمد، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، دار قباء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م ص٣٤.

ول وإيريل ديورانت: قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين، ترجمة: محمد بدران. دار الجيل للطباعة، د. ت.

مجموعة مؤلفين. تاريخ تطور الفكر الصيني. ترجمة: عبد العزيز حمدى. ٢٠٠٤، (ط١). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Chinaknowledge.de, Chinese Literature ،Spring and Autumn Annals.

www.britannica.com،Confucianism.

JAMES LEGGE, THE RELIGIONS OF CHINA.CONFUCIANISM AND TAOISM DESCRIBED and COMPARED WITH

CHRISTIANITY. London: Hodder and Stoughton 1880.

Wai-yee Li David Schaberg, Zuo Tradition Zuozhuan Commentary on the Spring and Autumn Annals,(2016) University of Washington Press, xxiv

MICHAEL NYLAN, THE FIVE CONFUCIAN CLASSICS, YALE UNIVERSITY PRESS/NEW HAVEN & LONDON, 2001,

THE CLASSICS OF CONFUCIUS BOOK OF ODES (SHI-KING), BY L CRANMER-BYNG، JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET , 1906.

wikipedia.org, Four Books and Five Classics.

www.britannica.com,Confucianism